ندوة موسكو اللبنانية السوفياتية

«الأدب والمجتمع»

دعا اتحاد الكتاب السوفيات وفدا من الكتاب اللبنانيين لعقد ندوة في موسكو يومي ١١ و ١٢ ايلول الماضي في موضوع « الادب والمجتمع » ومناقشة وسائل تدعيم العلاقات الادبية والثقافية بين الاتحادين .

وكان الوفد السوفياتي برئاسة السيد اليكسي سوركوف امين عام اتحاد الكتاب السوفيات وعضوية السادة الشاعر باميل بوتسو سكرتير اتحاد الكتاب لجمهورية مولدافيا والشاعر روبيرت روجديستفينسكي والناقد والمترجم فاكسماخير والناقد والمترجم ميخائيل كورينوف وكوستنتين تشوغونوف رئيس هيئة تحرير مجلة « الآداب الاجنبية » والشاعر الجورجي يوسف نوشيفيلي والشاعر البلغاري قيصين كوابيوف ويوري رومينتسيف سكرتير اتحاد الكتاب السوفيات ورئيس قسم كتاب آسيا وافريقيا والشاعر سيمون كيرسانوف والاديب الكازاخستاني انور عليم جانوف .

اما الوفد اللبناني فكان يتألف من الدكتور سهيل ادريس امين عام اتحاد الكتاب اللبنانيين والشاعر ادونيس والدكتور محمد يوسف نجم والاساتذة منير بعلبكي وجوزيف مغيزل وحسين مروة ومحمد دكروب والسيدة عايدة مطرجي ادريس .

افتتحت الندوة بتعريف عن اتحاد الكتاب السوفيات الذي يبلغ عدد اعضائه ٧ آلاف اديب يكتبون باربع وسبعين لغة تترجم فيما بينها ترجمة واسعة وليس هناك من شاعر مبدع في اية جمهورية من جمهوريات الاتحاد السوفياتي الا وهو مشهور ومعروف لدى قراء الجمهوريات الاخرى . كذلك يوسع الاتحاد اتصالاته بالبلدان الاجنبية خاصة مع ادباء الاشتراكية واميركا اللاتينية وآسيا وافريقيا .

وتحدث الدكتور سهيل ادريس عن النشاط الادبي في لبنان فقال ان اعضاء الوفد اللبناني يشرفون على خمس مجلات ثقافية في لبنان. واوضح ان لبنان ، حين يصدر هذه المجلات ، فانما يصدرها للبنان وللعالم العربي كله . وقال ان الفرق بيننا وبين كتاب الاتحاد السوفياتي ان لغتنا واحدة ولغات الاتحاد السوفياتي ٧٤ لغة ، ومع ذلك فانهم متحدون ومتعاونون . وهذا ما يجعلنا اشد ايمانا واعتقادا بوحدة الوطن العربي . وليست هذه الوحدة قائمة فقط على وحدة اللغة وانما هي قائمة ايضا على وحدة التفكير العربي ووقوفه ضد كل نزعات الصهيونية والاستعمارية . وهذه الرغبة هي التي توثق وتعمق الصلات بين افراد الشعب العربي والامة العربية . اما بشأن اوضاع تلك المجلات ، فانها تقوم على مبادرات فردية لا علاقة للسلطة بها « من هنا كان عملنا نوعا من الجهاد » .

وقد علق على هذه الملاحظة سكرتير اتحاد الكتاب السوفياتي بقوله : « ان اتحاد الكتاب السوفياتي لا يمثل السلطة ايضا ، ولكنه لا يقف ضدها . ان تصوراتنا هي نفس تصورات دولتنا واتجاهاتنا مماثلة لاتجاهاتها . لذلك فان التناقضات والصعوبات لا يمكن ان تكون بالكثرة التي قد تواجهونها في مجتمعكم . ويعلق الكثيرون ممن يتنقدوننا في الغرب ان كتابنا بوجه واحد . وهذا غير صحيح ففي اعتقادنا ان الكاتب يصبح اديبا حين يختلف وجهه عن وجه الآخرين قد تكون مواضيع الادب واحدة . ولكن طريقة التعبير هي التي تختلف، وتجعل لكل كاتب شخصية مميزة . فالاديب لا يمكن ان ينفصل عن موقفه الاجتماعي ، وليس هناك من فرق بين الشاعر مثلا وموقفه .فحين اعلنت الحرب ، ذهب الشعب الى الحرب ، وكان من بينهم ٣٥٠ اديبا ذهبوا ، دون دعوة للتجنيد » .

واضاف سكرتير اتحاد الكتاب السوفيات يقول :

اننا اليوم نعيش في العالم الصعب ، بل لعل اصعب عالم هو عالم اليوم . كنا نعتبر ان الحرب قد انتهت ، ولكن المدافع ما تزال الى الآن هي التي تتكلم . ان التاريخ يفاجيء العالم ويجعل الحياة شاقة . ولكن المهم ، بالنسبة لنا ان الناس ، الذين يعبرون عن قلب الشعب يستطيعون ان يفهموا بعضهم ويتفاهموا معنا . ويسرنا ان نلتقي ونتفاهم مع ممثلي الادب اللبناني .

ان الادب السوفياتي المعاصر معروف في العالم العربي ، وفي اوروبا ايضا ، وخاصة فيما يتعلق بالقصة . اما الشعر ، فقضية اكثر صعوبة . اما هنا ، فاننا نعرف بعضا من كتابكم ، من الشعراء المصريين والعراقيين والجزائريين ، والقليل من اللبنانيين . صحيح ان قضايانا القومية والاجتماعية قد تختلف عن آراء العالم ، وعن قضاياكم بالذات ، المختلفة فيما بينها ايضا ، ولكن ذلك لا يمنع ان نتفاهم » .

ثم ترأس الدكتور سهيل ادريس الاجتماع الاول للندوة فالقى كلمة الوفد اللبناني التي جاء فيها قوله :

باسم اتحاد الكتاب اللبنانيين أشكر لاتحاد الكتاب السوفيات دعوته الكريمة لعقد هذه الندوة الثنائية في موسكو ، واعبر عن اعتزاز اتحادنا بهذه الدعوة التي هي اول دعوة توجه اليه من خارج البلاد العربية ، فهي من هذه الزاوية تدعيم لاتحادنا الحديث النشأة .

لقد سبق لبعضنا ايها الاصدقاء ان زاروا الاتحاد السوفياتي غير مرة واجتمعوا الى الادباء السوفيات وتناقشوا معهم في كثير من الامور لمناسبة انعقاد مؤتمرات كتاب آسيا وافريقيا او لجانها ، ولكن اهمية هذا اللقاء تنبثق من كونه مدعوا لارساء حجر الاساس في علاقات الصداقة والتعاون بين ممثلي الكلمة الحرة الشريفة في الاتحاد السوفياتي وممثليها في لبنان .

ونحب ان نوضح امرين على الاقل : اولهما اننا لسنا مندوبين رسميين عن السلطة في لبنان ، بل نحن جمعية حرة مستقلة لا يعنيها ان تكثر أعضاءها بقدر ما يعنيها ان تجمعهم حول مفاهيم للفكر والادب والفن متحررة وملتزمة في وقت واحد . والامر الثاني اننا لا ندعي تمثيل جميع حملة الاقلام في لبنان ، بل ان هذا يستحيل على اية جمعية بسبب تباين وجهات النظر في لبنان . ولكننا نعتقد ان بوسعنا ان نقدم خدمة جليلة لمجموع الادب العربي في لبنان حين نوثق علاقته بالآداب الاجنبية التي يعتبر الادب السوفياتي في طليعتها اليوم .

وتزداد أهمية توثيق هذه العلاقات مع توثيق الصداقة بين الشعب العربي ، ومنه اللبنانيون ، وبين الشعب السوفياتي الذي يناصر اليوم مناصرة كبيرة قضية العرب الاولى التي هي تحرير ارضهم من الاغتصاب الصهيوني لينطلقوا في انجاز رسالتهم ببناء المجتمع الاشتراكي العربي الحديث .

ان اتحاد الكتاب اللبنانيين يشارك جميع فئات الشعب العربي حين يتوجه بشعور العرفان للاتحاد السوفياتي على ما يقدمه من معونات كبيرة للعرب لمساعدتهم في تحرير ارضهم السليبة ، ونحن على ثقة تامة بان الادباء السوفيات سيزدادون مناصرة لحركة المقاومة العربية واهتماما بادب المقاومة العربي وتعريف الشعب السوفياتي به ، هذا

عايدة مطرجي ادريس ، روميانتسيف ، سهيل ادريس ، محمد يوسف نجم ، منير بعلبكي .

الشعب الذي يتذوق اعمق التذوق ادب النضال والمقاومة لانه ناضل وقاوم طويلا مغتصبي ارضه النازيين الذين تعيد اسرائيل اليوم تمثيل دورهم في وطننا العربي .

ولا بد لي قبل ان انهي كلمتي من التعبير عن السعادة التي يشعر بها اتحادنا لوجود السيد سرفار عظيموف الذي هو عضو بارز في اتحادكم والصديق الكبير للادباء اللبنانيين واتحادهم ، سفيرا للاتحاد السوفياتي في لبنان . فقد قام وما يزال يقوم بدور هام في توثيق عرى الصداقة والتعاون بين ادباء البلدين .

ملاحظات حول الشعر والثورة

ثم اعطيت الكلمة للشاعر ادونيس الذي القى ملاحظات حول الشعر والثورة هذا موجزها :

على الرغم من ان المجتمع العربي لم يصبح بعد مجتمعا ثوريا ، فان المشكلات التي يواجهها مشكلات ثورية .

قضية الادب والمجتمع التي نتداول فيها اليوم هي ، لذلك ، بالنسبة الينا ، نحن العرب ، قضية الادب والثورة .

اقصر ملاحظاتي هنا على الشعر . ويبدو لي ان ما يشغل الشاعر العربي الثوري فيما يتصل بالعلاقة بين الشعر والمجتمع ، يمكن ايجازه في ثلاثة أمور :

١ ـ علاقة الشاعر الثوري بتراثه .
٢ ـ علاقته بالنظام القائم .
٣ ـ علاقته بالشعب .

١ ـ فيما يتعلق بالناحية الاولى اوجز ملاحظاتي كما يلي :

اولا ـ النظرة التقليدية تعتبر التراث مثالا كاملا .

وترى ان مهمة الشاعر ان يقلد هذا المثال ، فيكرره بشكل او آخر . التراث ، بحسب هذه النظرة ، نموذج واصل وينبوع لكل ابداع . اما النظرة الثورية فتميز اولا بين مستويين في التراث : العمق والسطح ، او اللهب والوقد .

الوقد يمثل الطرائف والاساليب والاشكال . واللهب يمثل الحركة والتفجر . الوقد متصل بالفترة الزمنية ، بتجربة معينة في زمان ومكان معينين . اما اللهب فمتصل بالانسان كانسان ، بالحياة كحياة . والشاعر الثوري يتاصل في اللهب لا في الوقد .

ثانيا ـ هكذا يأخذ الشكل ، في النظرة الثورية ، معنى جديدا . انه حالة منتهية من اللانهاية .

اعني ان الشكل متناه ، بينما الحياة لا متناهية .

تغير الشكل ، من هذه الناحية ، هو اذن مقياس لتغير المجتمع . والتمسك بشكل واحد لا يتغير دليل جمود وتخلف .

ثالثا ـ اعادة النظر المستمرة في الماضي وفي كل شيء هي اذن صفة جوهرية من صفات الشعر الثوري .

وتعني اعادة النظر ، فيما تعني ، ان الشعر الثوري لا يجيء من الماضي ، أي من النموذج والمثال ، بل من المستقبل ، أي من المغامرة والمجهول . وتعني كذلك اننا اذا اردنا ان ننقذ الماضي فلا بد من ان نتجه نحو المستقبل .

رابعا ـ ينتج عن الملاحظات السابقة ، ملاحظة اخيرة هي ان الجوهر الحقيقي للتراث الحي هو البحث والتجريب ، لئلا يجيء الغد مطابقا للامس والحاضر شبيها بالماضي ، كما في المجتمعات التقليدية .

الوقوف ، اذن ، في وجه التجديد ، أيا كان (١) ، ليس وقوفا في وجه التراث وحسب ، بل هو كذلك وقوف في وجه الانسان . فحين نعرقل التجديد نعرقل نمو الانسان والحياة . ولذلك فـان مقياس القصيدة الثورية حقا هو في مقدار ما تفتح من آفاق المستقبل .

٢ ـ وفيما يتعلق بالناحية الثانية ، أي علاقـة الشاعر الثوري بالنظام القائم ، اوجز ملاحظاتي فيما يلي :

اولا ـ لا بد للثورة لكي تغير وتفعل فعلها من ان تتجسد في نظام.

لكن الثورة اشمل من ان تكون نظاما وحسب . لذلك يميز الشاعر الثوري بين الثورة كحركة ، والثورة كنظام . الثورة ـ الحركة هي ضمان الثورة ـ النظام هي اللهب الذي يتيح للنظام ان يتجدد ويتجاوز نفسه باستمرار . وحين يحاول النظام ان يلبس الثـورة كالرداء ، وان يحولها الى مؤسسة تختنق وتتلاشى .

ثانيا ـ الشاعر الثوري متصل بالثورة ـ الحركة . الشعر والثورة، من هذه الناحية ، واحد . ذلك ان النظام مرتبط بتاريخ معين ، بواقع معين . اما القصيدة فتتجاوز التاريخ والواقع ، وان انبثقت عنهما . نخطىء اذن حين نحاول التوحيد بين الشعر والنظام . ان هذا التوحيد يقتل ، في النتيجة ، الشعر والثورة معا .

ويقدم لنا لينين في هذا الصدد قدوة عظيمة . فليس في التقليد اللينيني ما يدل على ان الفن يجب ان يكون تابعا او خاضعا للنظام .

انه هو نفسه لم يكن يتخذ من ذوقـه الشخصي مقياسا لتقييم الفن . كان يقول بتواضع كل مفكر وقائد عظيم : « لا اقول عن نفسي بأني اختصاصي في شؤون الفن » (٢). ويقول لونا تشارسوكي : « ان لينين لم يجعل ابدا من عطفه ونفوره الجماليين فكـرة للتوجيـه والقيـادة » . (٣)

وفي هذا يؤكد لينين رأي ماركس الذي كان يناهض الحد مـن حرية الابداع لاسباب سياسية .

ثالثا ـ الشاعر العربي الثوري يجابه ازاء الانظمة القائمة فـي المجتمع العربي الوضع التالي :

انه يساند بكل قوته الانظمة التحررية العربية فـي محاربـة الاستعمار والصهيونية والامبريالية . لكنه لا يستطيع ، من جهة ثانية، الا ان يقف ضد بعضها في عدم جذريتها الثورية .

فهي تقوم على ثقافة ذات بنية دينية ومضمون تقليدي سلفي . ثم ان موظفي هذه الانظمة يتخذون من اذواقهم مقياسا وحكما فيحاربـون الشعر الثوري ، والانظمة تتبنى موقفهم هذا . هكذا نجد هذه المفارقة : مجتمعات تتجه نحو التحرر ، لكنها تحارب ، باسم الثـورة . الاتجاهات الثورية الشعرية . وما ينطبق على الشعر هنا ينطبق على جميع النواحي الثقافية الاخرى .

النقطة الثالثة :
الشعر والجماهير :

« لكي يكون في وسع الفن ان يقترب مـن الشعب وفـي وسع الشعب ان يقترب من الفن ، ينبغي ان نرفع في البدء مستوى التعليـم والثقافة العام » (٤).

ليس كافيا ان نقول ان الفن للشعب . فهذا امر اصبح واضحا . لكن ماذا يعني قولنا : « الفن للشعب » ؟

---

١ ـ يقول لينين : « ... المقصود هو ان نساعد جميـع بذور الجديد ، أيا كانت ، والحياة تحت رأيها اكثر قابلية للبقاء » . (فـي الثقافة والثورة الثقافية ، ص ٩٠ ، الترجمة العربية ، دار التقـدم ، موسكو) .

٢ ـ في الثورة والثقافة الثورية ، ص ٢٥٠ .

٣ ـ اصدر السابق ، ص ٢٤٤ .

٤ ـ لينين ، في الثقافة والثورة الثقافية ، ص ٢٢٩ (الترجمة العربية ، دار التقدم موسكو ١٩٦٧) .

محمد ابراهيم دكروب ، حسين مروة ، سوفرونوف .

***

يقول لينين : « الشعب هو تحالف العمال والفلاحين » ، هـو ، بعبارة اخرى ، الشغيلة الذين يسترشدون بنظريـة ثوريـة غايتها ، بالطبـع ، تحويل الواقع جذريا وكليـا من اجل بناء المجتمع الاشتراكي، مجتمع المستقبل .

لكن هل نكون ، بهذا المعنى ، الشعب العربي ؟ ان عمالنا وفلاحينا لا يسترشدون كجمهور باية نظرية ثورية ، وهم غير متحالفين ، بالمعنى اللينيني ، ليس لهم نظرية ثورية ، ليست لهم ، بالتالي ، ثورة .

ولا اعرف كيف يمكن ان يتوجه شاعر ثوري الى جمهور ، كجمهورنا العربي ، يجهل الكتابة والقراءة ، بالاضافة الى انـه جمهور محشو بتقاليد ثقافية ودينية مغلقة تناقض الثورة .

ان الجمهور الذي يمكن ان يتوجه اليه الشاعر العربي الثوري في المرحلة الحاضرة ، هو الذي يتكون من فئات البورجوازيـة الصغيرة التقدمية ، وفي طليعتها الطلاب والمعلمون والمثقفون .

وهو ما يزال ينتظر التربة التي تتيح لشعره ان ينمـو ويتفتح . اعني الشعب المتعلم المثقف .

الشاعر الثوري لا ينقاد للجمهور ، بل يتقدمه . انه يغنيه ، ويفتح لحسه وفكره آفاقا جديدة ويسير به في اتجاه المستقبل . وهذا مـا قصده لينين في الكلمة التي نقلها غوركي على لسانه والمتعلقة بالشاعر ديميان بيادني (ص ٧) ، فهو ينتقده بقوله : « انـه مبتـذل بعض الشيء ، فهو ينقاد للقارىء في حين ينبغي ان يتقدمه » .

والواقع ان الشعراء العرب الاكثر تأثيرا ليسوا الذين يعبرون عن مشاعر الجمهورورواقعه ،بل الذين يحاولون ان يضعوا امام قرائهم لحظة فنية تثير فيهم مشاعر لم يألفوها وتدفعهم بالتالي الى تجاوز واقعهـم والبحث عن واقع آخر .

اختتم هذه الملاحظات بالاشارة الى اننا اليوم نخوض تجربةجديدة هي ظاهرة الثورة الفلسطينية . في هذه التجربة الثورية الحقيقيـة يثور العامل والفلاح الى جانب المثقف والكاتب . والمسألة في هـذه الثورة تتجاوز تغيير البنية السلطوية ، كما الفنا حتى اليوم ، الى تغيير بنية المجتمع ذاتها .

هكذا تنمو تجربة شعرية جديدة تواكب هـذه الثورة وتحياها . ولعلها ان تكون نواة اللقاء بل الوحدة بين الشعـر العربي والثورة العربية .

وقد اثارت كلمة ادونيس نقاشا طويلا ، لا سيما بين اعضاء الوفد اللبناني وبينه .

وقد علق الكاتب خيرسانوف بقوله : لا شك ان الشعب العربـي الذي يضم في صفوفه شاعرا كادونيس هو شعب يتمتع بمستقبل عظيم.

ولكن اذا كان لي ان اعلق على هذه المحاضرة من حيث الظروف التي مرت بها فانني ارى ان الشكل الجديد ليس ، بالضرورة تعبيرا عن الثورة . اذا اخذنا مثلا تفردوفسكي ، وهو مؤلف على طريقة شبه تقليدية . وجب علينا ان نعتبره ، رجعيا . والواقع اننا نعتبره شاعرا ثوريا . اما ان يكون الشاعر هو لهب الامة ، فاننا موافقون على ذلك . فنحن نعتبر ان مایاکوفسكي هو موقد الثورة الروسية . اما عن علاقة الشاعر بالنظام ، فاننا نعتقد ، انه ، في البلاد الاشتراكية . يضعف التناقض بين الثورية والنظام ، وبالتالي يضعف التناقض بين التقليد والثورة . ان الثورة قد اثرت على التقليد .

وعن علاقة الشعر بالجماهير ، فقد ارى ان الشعر يجب ان يكون واضحا للجماهير ، وفي بداية الثورة . كان الشعر يتنازل حتى الجماهير ، وكان على الجماهير في الوقت نفسه ان ترتفع لفهم الشعر. ولقد يتلخص موقفنا في القول بان : « الفن يجب ان يكون مفهوما للشعب ، وعلى الشعب ان يتعلم فهم الشعر » .

وقد علق سهيل ادريس على ملاحظات ادونيس بقوله :

نحن نختلف مع ادونيس في نظرته الى العلاقة بين الشاعر والجمهور . فهو يجعلها علاقة تابع بمتبوع او قائد بمقود ، في حين ان العلاقة هي علاقة تبادل بالتاثير والتاثر . والحق ان الشاعر الثوري لا يمكن ان يولد الا من مجتمع يتمخض ببذور الثورة . فالمجتمع غير الثائر لا ينتج مجتمعا ثائرا . ثم ان الشاعر الثوري لا يستطيع ان يقود الجمهور اذا لم ينقد هو اولا للجمهور ، وهكذا تكون العلاقة بينهما علاقة تبادل وتواصل . ولو لم يكن عالمنا العربي ينبض ببذور الثورة لما طلع شاعر ثوري واحد . فالمجتمع هو منبع كل نتاج ومصبه .

وعلق على ملاحظات ادونيس الشاعر الروسي الشاب روبيرت روجديستفينسكي بقوله : اننا نعيش على الارض الواسعة التي لا يكفي عمرا واحدا للمشي عليها . ومع ذلك ، فان الارض قد صغرت ، وازدياد سرعة تبادل المعلومات قد ساهم في تصغير الارض . والانسان لا يستطيع ان يعيش في هذا العالم السريع دون ان يهتم ويتداخل بالسياسة . باستطاعة شاعر ما ان ينعزل عن العالم ، بحجة انه يجب ان يكون حرا. وباستطاعته الا يقرأ الجرائد ، والا يستمع الى الاذاعة ، والا يخرج الى الحياة . صحيح ان عالم اليوم خال من الابراج العاجية ، ولكن الشاعر يستطيع ان يبني لنفسه برجا اصطناعيا ، فينفرد بنفسه . ولكن اذا جاءه ذات يوم رجل يحمل بندقية ودق على باب برجه ، فلا بد للشاعر من ان يخرج ليفتح له الباب . فاذا كان الشاعر يعتبر ان حياته واقعية ومعقولة ، فان الضارب على الباب له رغبات واقعية ايضا ، وحين يحتدم النقاش ، سوف يدافع المجهز بالسلاح عن نفسه ، ولن يجد الشاعر المعتزل غير الموت . واذا مات ، فلن تقدر حياته باكثر من بيضة ، شاعر اعتزل الجمهور وتجرد عن السياسة والحياة . انا اعتبر ان اي كيان خارج عن السياسة هو مجرد كذب ، وهي دعوة تخدم افكارا معينة : لا خيار امام الشاعر . الحياة كالمسرح لا قاعة للمتفرجين فيها . ولكنها قاعة نضال .

وقد ناقش الاستاذ حسين مروة بعض النقاط التي جاءت في كلمة ادونيس فقال : ان صعوبة فهم ادبنا العربي تاتي من نوع مشكلاتنا العربية .. ان شعبنا العربي هو في حركة وطنية ثورية للتحرر من الاستعمار والتحرر الاجتماعي . هذا التداخل جعل الشعب والادباء ينقسمون الى تيارات عديدة . والكتاب الوطنيون مع حركة التحرر الوطني ضد الاستعمار ، ولكن حركة الكفاح للتحرر الاجتماعي جعلت كثيرا من الناس ينقسمون الى تيارات تقدمية ووطنية . هذه التيارات ثورية ، ولكنها تختلف بالمفاهيم الثورية . من هنا ، نشأ الادب مختلفا باختلاف هذه المفاهيم .

وفي محاضرة ادونيس صورة لاختلاف هذه المفاهيم . ونحن ، في هذا الوفد ، نسير في موكب عام للحدود القومية التحررية . ولكننا نختلف في المفاهيم .

قال ادونيس ان المجتمع العربي لم يصبح ثوريا وان كانت لديه مشكلات ثورية . انا لا اوافق على هذا الرأي . لا يمكن الفصل بين المشكلات الثورية والمجتمع . ان المشكلات ليست خارج المجتمع . بل ان المجتمع هو الذي خلقها . وان مجتمعنا العربي في حالة ثورية . وهو في حالة تحرر اجتماعي ووطني . حدثت فيه ثورات عديدة لم تكن خارج المجتمع ، وتتجسد في طبقات متعددة الاتجاه . من هنا نشأت المشكلة الثورية ، وان كانت الثورية لم تبلغ بعد ان تصبح لديه نظرية.

ومع الموافقة التامة على ما قاله ادونيس عن علاقة الشاعر بتراثه وما قاله عن علاقة الشاعر بالنظام القائم لا ازال اعتقد ان وجود شاعر يؤمن بالثورة هو نفسه دليل على ان مجتمعنا ثوري . الشاعر ليس خارج المجتمع . فالشاعر الثوري هو شاعر منبعث عن هذا المجتمع .

ان لا يكون للشعب نظرية ثورية ، فهذا ممكن . وانا اوافق ان الشاعر يتقدم الشاعر بعبقريته ويرى الى البعيد ، ولكنني اعتقد ان ثورته لا يمكن أن تكون خارج المجتمع . كثير من الشعراء الثوريين ليست لهم نظرية ثورية . ان الشاعر هو ابن طبقته . وباختلاف انتمائه تختلف نظريته .

اما فيما يخص الثورة الفلسطينية . فهي فعلا ثورة لانها ضد الاستعمار ولان في داخلها بذور تحرر اجتماعي . ولكن ادونيس يجعل الثورة الفلسطينية منفصلة عن الثورة العربية . وفي نظري ان الثورة الفلسطينية تمثل شكلا او اسلوبا من الثورة العربية . فالثورة العربية تعتبر وحدة كاملة ، ومن الخطأ ومن الخطر على الثورة الفلسطينية نفسها ان نجعلها مستقلة .

واضاف الدكتور محمد نجم استكمالا في توضيح معالم العالم العربي بان الثورة المعاصرة ما تزال حديثة العهد . فقد وقعت عام ١٩٥٢ وبدأت فعلا عام ١٩٥٦ . ومن الطبيعي انها لم تنضج بعد النضج الكافي . ومن الطبيعي اذن ان لا يخلد بعد جيل الكتاب الذين يعبرون عن هذه الثورة . وانني اتساءل ، هل هناك تشابه بين الادب العربي والادب الروسي ابان الثورة ؟

وانتقل الكلام الى السكرتير العام الاديب سركوف فقال معلقا على ملاحظات ادونيس : مما اسعدني في هذه الكلمة ان المؤلف مقتنع بافكاره . ونحن نفهم تشبيهه للادب بالموقد والشعلة .

اما عن علاقة الشاعر بالجمهور ، فانني اكتفي بان اردد ما قاله مایاکوفسكي من ان الشاعر هو قائد الشعب وخادم الشعب . وهذا القول هو تعبير عن الوحدة الديالكتيكية بين الادب والشعب. ولولا هذه الوحدة لكان التكبر الانفرادي اي انفصال القائل عن السامع . اما عن الثورة الروسية ، فقد كانت في بدايتها ثورة بورجوازية واسعة، ولكنها بعد ثورة باريس اصبحت ثورة عمال . وامام الادباء الروس انبثق سؤال كبير . في اي طرف من طرف السد يختار . كان عليهم اما ان يتشبثوا بالماضي او ان يندفعوا للمستقبل . ولم يكن هناك حل وسط بين الاتجاهين . فكان مایاکوفسكي وغوركي مع الغد . والمستقبل، فاعترفوا بثورة روسيا ، وتاكدت ميزات تطور ادبنا .

اما الثورات التي تتفجر في العالم العربي وفي بلدان اخرى من بلدان العالم الثالث فهي ثورات تحررية ولا تزال ذات طابع قومي ووطني. لذلك فلثوراتكم ميزات خاصة بكم ولا بد ان تكون قد ظهرت في ادبكم . اما نحن فقد كانت ظروف ثورتنا هي التالية . كان على الادباء ان يتصدوا للاقطاع ، او للتطور الرأسمالي في بقاع الارض ! وهناك شعوب انتقلت رأسا من النظام الرأسمالي الى النظام الاشتراكي ، وهناك من مر مباشرة من النظام الاقطاعي الى الاشتراكي من غير توسط بالرأسمالي . وكان الاديب في هذه الحالات كلها متأثرا ومؤثرا في مجتمعه .

وبعد ان انهى الاديب سركوف تعليقه عاد الدكتور يوضح ان المؤرخ لا يكتفي برصد الصورة ولكنه يرفقها بالتفسير والتحليل . واشار الى انه من المفيد ان نحدد معنى العالم العربي . ولاحظ ان العالم العربي ، بالرغم من كونه يتحدث بلغة واحدة هي اللغة العربية ، وبالرغم من ان تاريخنا القومي واحد ، فان اوضاعنا تختلف من بلد الى بلد . فعندنا المجتمع الديني ، وعندنا المجتمع الاقطاعي والمجتمع

جوزيف مغيزل ، ادونيس ، قيصين كولييف ، عايدة مطرجي ادريس ، سهيل ادريس .

الثوري . وهذه المجتمعات متمثلة في دول . وهذه الدول تتكلم بلغة واحدة . ولذلك نلاحظ هذا التباين الشديد بين ادبائنا . ولكن عندما نتحدث عن الادب الثوري فيجب ان نتحدث عن بلاد معينة .

وقد علقت عائدة ادريس على رأي الدكتور نجم قائلة اننا لا نستطيع ان نجزم بشكل حاسم في نوعية كل مجتمع ضمن دولة ما . فقد نجد مختلف انواع المجتمعات في نطاق دولة واحدة . فالى جانب المجتمع الثوري قد يعيش مجتمع اقطاعي والعكس صحيح ايضا . ان الدول العربية الرجعية لا تضم ، بالضرورة مجتمعات رجعية . بل من المؤكد انها تضم ايضا مجتمعات ثورية تعمل في العلن حينا وفي الخفاء حينا آخر لتؤكد ثوريتها . ويمكن ان نلاحظ ان فعالية الثورية العربية تبرز خاصة في الدول التي يضطهد فيها الشعب . ولعل وجود هذا التباين بين تلك الدول والشعب هو الذي يفسر لنا تفجر الثورات العربية المتتالية التي يفاجيء بها العرب العالم . والا ، فكيف نفسر مثلا ثورة ليبيا ، وقد كانت ، الى ايام قليلة ، تعتبر امام العالم احدى معاقل الرجعية في العالم العربي . صحيح ان هناك دولا عربية تمثل مجتمعات ثورية ، ولكن الدول الرجعية تضم ايضا مجتمعات ثوريه .

وتعليقا على تفسير المجتمع العربي اشار الاستاذ منير بعلبكي الى تجربة الثورة المصرية والتجربة الاشتراكية الجزائرية والتجربتين الاشتراكيتين في سوريا والعراق . ورأى ان هذه البلدان الاربعة تمثل حركة التحرر من الرأسمالية الى المجتمع الاشتراكي . واضاف بان هذه التجربة قد تكون مستحدثة صغيرة السن ولكن اول الغيث قطر .

ثم انتقل الكلام الى الاستاذ محمد دكروب فعاد ليعلق على ملاحظات ادونيس حول وجود الادب الثوري . فرأى ان الادب الثوري لا يتعلق بالنظام الثوري القائم . فليس من المحتم ان يبرز الادب الثوري في بلد ثوري ، بل ان التجارب العالمية دلت وتدل على ان الادب الثوري ينمو في ظلال نظام اقطاعي .واعتقد ان الادباء الثوريين وجدوا حتى قبل النظام الثوري ومهدوا له . ان الكاتب الثوري يرتبط بالفئة الثورية ، وليس بالدولة . وفي البلدان العربية يوجد ادباء ثوريون يناضلون في سبيل الثورة .

وتكلم الاديب الكازاخستاني انور عليم جانوف فعرض كيف ان الادب كان ، حتى في المجتمع الاقطاعي في كازاخستان ، ثوريا . وابرز تلك الظاهرة : كان على الشاعر ، اذا كان مبدعا ، ان يتصل بالشعب ، وان يعبر عنه وعن الحقيقة . فيعطي اجمل حصان يجوب به البلاد . كان عليه الا يقول الا الحقيقة باسم الشعب امام الخان ولم يكن بوسع اي حاكم ان يقاطعه او يحاكمه ولو فضح هذا الحاكم . ولقد تأثر ادبنا بالاسلام ، وكان هذا التأثير مهما في تاريخنا ، وتأثر ايضا بالاداب الفارسية ثم بالادب الروسي ، وبالرغم من هذه التأثيرات فقد ظل للادب الكازاخستاني طابع مميز وظل الفنان ملتصقا بمجتمعه ، فكان اول من حيا الثورة الروسية الشعراء ، بالرغم من ان المجتمع لم يكن مهيأ للثورة .

وعلق الشاعر قيصين كولييف على علاقة الشاعر بالمجتمع فاوضح ان الفنان لا يستطيع ان يعيش خارج المجتمع . ذلك واضح في تاريخ الثقافة العالمية . ان الشاعر الكبير يأتي الى الثورة ، فيعطي حبه للثورة ، في مجتمع ثوري . اما الشاعر في المجتمع الطبقي فهو دائما الى جانب النير والاستعباد . واضاف ان كل فنان يكتب بلغة ارضه ، وحين يكتب بتلك اللغة معبرا عن طابع شعبه وصورة ارضه يكون انسانا ، ويكون بالتالي مفهوما من جميع الشعوب . أن الفنان المبدع فنان يخاطب جميع الشعوب ، فلا يكون هناك فنان شرقي او غربي قطعا . المهم ان يظل الشاعر الثوري فنانا .

وتوكيدا لهذه الفكرة اضاف الشاعر الجورجي نوتي شويكي بان

الشاعر الفنان ملك جميع الشعوب . والشاعر الثوري الذي يثور لا يثور من اجل شعبه فقط وانما من اجل العالم كله .

واكد هذا الرأي ايضا السيد شوغونوف لافتا النظر الى الطابع الاممي للشعر مشيرا الى علاقة الادب الوطيدة بالسياسية ، والى امكانية وجود الادب الثوري في اي مجتمع سواء كان اقطاعيا ام رأسماليا ام اشتراكيا . ومن دون وجود هذه الديالكتيكية ، بالرغم من التمايز في بعض الدول العربية ، يصعب تحليل الادب العربي . ورأى ان وحدة الدين واللغة والجنس لا تكفي لوحدة الثورة في العالم العربي ، ولذلك فهو يرى ان فصل العالم العربي الى رجعي وتقدمي غير صحيح .

وجوابا على المناقشات التي تناولت ملاحظاته ، دافع ادونيس عن وجهات نظره : فيما يتعلق اولا بمفهوم الثورة . فقال انه كان يقصد بالثورة نظام العلاقات الاقتصادية والثقافية . واضاف انه بما ان هذا النظام لم يتغير تغيرا جذريا ، لذلك فقد رأى ان الثورة العربية هي ثورة وطنية تحررية وليست طبقية . اما عن علاقة الشاعر بالجمهور ، فقال انه كان يقصد ان هذه العلاقة هي جدلية وليست علاقة تابع بمتبوع . فالشاعر هو بطبيعته ابن الشعب . ولذلك فيجب ان تكون تلك العلاقة طبقية وجدلية بينهما . وخوفا من ان تصنع الثورة باسلحة غير ثورية ، شددت على ان يكون الشاعر في طليعة الشعب وان يتعلم الجمهور ان يفهم الشعر . اما الملاحظة الثالثة فقد نفى فيها ان يكون قد قصد الى الفصل بين الشعر والسياسية . وقال انه « اذا كان ارسطو قد حدد الانسان بانه حيوان ناطق ، فالشاعر يمكن ان يحدد بانه انسان سياسي » .

على هذا الدفاع رأى الاستاذ حسين مروة ان يصحح بعض المفاهيم . وهي ان الثورة ، من حيث وعيه الثوري ليست تغييرا للعلاقات . ان تغير العلاقات في الثورة هو هدف الثورة وليس هو الثورة ، ان عدم التغير لا يعني عدم وجود ثورة . ولذلك فانا اؤكد ان العالم العربي في حالة ثورية .

وختاما للجلسة الاولى اعرب السكرتير العام سوركوف عن تضامن الكتاب السوفيات المادي والمعنوي مع الكتاب العرب ، وعن تفهم وجهات نظرهم واحترامهم لهم . واضاف ان العرب هم اصحاب حضارة اصيلة وعريقة ، فلا خوف عليهم في تقاليدهم وتراثهم . بل ان هذا التراث الانساني هو مصدر غني لهم . والامة التي لا ماضي لها ولا تراث لا مستقبل لها . ان الانطلاق من الماضي شرط للقفز نحو المستقبل ، وعلينا ان ندافع اليوم عن هذا المستقبل . ان الحرب النووية تستهدف اليوم تذويب الحضارات . وعلى اصحاب الحضارات ان يدافعوا عن هذا المستقبل .

وكان لكلام الشاعر سوركوف وقع طيب فشكره الدكتور سهيل ادريس معلقا على كلمته النبيلة قائلا : لقد ذكرتنا بماضينا وبمستقبلنا. واريد ان اؤكد اننا نحن ايضا نعتز بهذا الماضي ونعتبره فخرا لنا لانه يحمل نزعات انسانية . ونحن نثق بالمستقبل وبالنصر لاننا نموت في سبيل النصر ونرى اصدقاء لنا يساعدوننا . وسنلتقي دائما لصالح العدالة والانسانية والسلام » .

اما الجلسة الثانية فقد القى فيها محمد ابراهيم دكروب وعايدة مطرجي ادريس ملاحظات حول القضية العربية بعد حزيران والادب اللبناني والمجتمع العربي (وقد نشرنا هذه الملاحظات في مكان آخر) .

ثم جرت مناقشة الاقتراحات المقدمة وقد تناولت خاصة قضية تبادل الترجمات . وقد قدم الاستاذ منير بعلبكي تقريرا باهم ما نقل الى العربية من المؤلفات الروسية في البلاد العربية . وعلق بان معظم هذه الترجمات لم تنقل عن الروسية ، وانما عن اللغة الفرنسية او الانكليزية ، فجاءت مشوهة بعض الشيء وذات طابع تجاري في معظم الاحيان . ودعا الاستاذ بعلبكي الى تخطي حاجز اللغة بين العرب والسوفيات فتتم الترجمات رأسا في اللغة الام . وعلق الاستاذ دكروب بان معظم الترجمات الروسية الى العربية ، خاصة في ميدان القصص. هي بعيدة عن الدقة والامانة وقد تصل حتى الى تشويه الروح والمعنى. اما عن الترجمات العربية الى الروسية فقد تأكد له ، بعد مراجعتها ، انها تخضع لعدة عوامل ، وليس عامل الجودة والفن هو المقياس الاوحد في غالب الاحيان .

اقتراحات التعاون بين الاتحادين

ثم تداول المؤتمرون في الاقتراحات التي قدمها وفد اتحاد الكتاب اللبنانيين للتعاون مع اتحاد الكتاب السوفيات ، وهذه هي :

١ ـ لقاءات دورية بين مندوبي الاتحادين في لبنان والاتحاد السوفياتي لتوثيق التعارف بين الادباء وتعزيز التعاون .

وقد وجه اتحاد الكتاب اللبنانيين الدعوة الى وفد يمثل اتحاد الكتاب السوفيات للقاء آخر في بيروت خلال عام ١٩٧٠ ، على ان يحدد الموعد الدقيق للقاء وموضوعه بالتشاور بين الاتحادين .

٢ ـ تبادل الآثار والمؤلفات والمنشورات على اختلافها بين الاتحادين ودراستها ليطلع ادباء كل بلد على نتاج ادباء البلد الآخر اطلاعا واسعا.

٣ ـ الاتفاق على ترجمة آثار نموذجية من الثقافة السوفياتية الحديثة الى اللغة العربية ، على ان يسعى اتحاد الكتاب اللبنانيين لدى بعض دور النشر اللبنانية لنشر هذه الترجمات وتوزيعها في العالم العربي .

٤ ـ الاتفاق على اختيار مجموعات من الشعر والروايات والقصص والمسرحيات والدراسات العربية لترجمتها الى الروسية ونشرها في الاتحاد السوفياتي .

٥ ـ الاتفاق على نشر نتاج الادباء اللبنانيين في المجلات السوفياتية المتخصصة في الفكر والادب ، ونشر نتاج الادباء السوفيات في المجلات اللبنانية المماثلة .

٦ ـ دراسة امكانية تقديم نتاج كتاب البلدين وفنانيهما في المسارح والمعارض في البلدين .

٧ ـ التعاون لتوزيع الكتب والمجلات التي يصدرها كل بلد في البلد الآخر اما بواسطة الاتحاد او عن طريق مكتبات متخصصة .

٨ ـ دراسة امكانية اصدار مجلة شهرية او فصلية باللغة العربية في الاتحاد السوفياتي على غرار المجلات التي تصدر باللغات الاجنبية الاخرى .

٩ ـ اقتراح تأليف قاموس عصري حديث جامع ، روسي عربي ، وعربي روسي .

١٠ ـ اقتراح دعوات كتاب من كل بلد يقيمون في البلد الآخر فترة لا تقل عن سنة تمكنهم من التعرف عن كثب الى الاتجاهات الفكرية والادبية والفنية .

واوضح الامين العام لاتحاد الكتاب اللبنانيين ان امكانيات هذا الاتحاد محدودة جدا في الوقت الحاضر وان ذلك ينبغي ان يؤخذ بعين الاعتبار لدى وضع هذه الاقتراحات موضع التنفيذ .

وقد رحب اتحاد الكتاب السوفيات بالاقتراحات ووعد بدرسها فورا وابلغ الوفد اللبناني انه قد تقرر ترجمة بعض آثار اعضاء الوفد الى الروسية في اقرب وقت ممكن .

هذا وقد نظم اتحاد الكتاب السوفيات للوفد اللبناني برنامجا حافلا في الاتحاد السوفياتي بين لينينغراد وتبليسي عاصمة جورجيا ويرفان عاصمة ارمينيا حيث كان يقام احتفال كبير لذكرى مرورمئةعام على وفاة الشاعر دومانيان . كما ان أعضاء الوفد قاموا بزيارة كثيرمن المتاحف ومعاهد الاستشراق ودور الصحافة ، ولا سيما مجلة « آغانيوك » التي يشرف على تحريرها الكاتب المعروف سوفرونوف والتي تولي قضايا العرب ، وبخاصة قضية نضالهم العادل لاسترجاع فلسطين السليبة ، كل اهتمام وتدعيم .

ع م ١٠